

## دراسات الأُستاذ طه الراوي في القرآن والحديث سورة البقرة أنموذجاً

إعداد: بان أحمد عبد عذافة (\*)

بإشراف: د. حامد ناصر عبود الظالمي

### المقدمة:

ألم الأُستاذ طه الراوي<sup>(١)</sup> في كتاب (تأريخ علوم اللغة العربية) بتأريخ تلك العلوم منذ نشأتها وتطورها وأبرز من طورها وأشهر الكتب في كل علم، كانت بداية الدراسات اللغوية في الأساس لخدمة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية؛ لوقايتها من اللحن الذي أصاب اللغة العربية بعد أن خالط العرب صفراء الأمم وحمرائها، بدخولهم في الإسلام بعد الفتوح، ونهض أبناء اللغة العربية إلى استقراء كلام العرب، ووضع قوانين تعصم اللسان من اللحن، وتقي القرآن الكريم من التحريف، فنشأ أول علوم اللغة العربية، وهو علم النحو، ثم نشأت المعاجم اللغوية وسائر علوم اللغة واللسان، ومن نتائج هذه النهضة أن ظهرت مؤلفات في ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته، وفي غريب الحديث، ومؤلفات تفسير القرآن الكريم، ولا ننسى أن للقرآن الكريم الفضل الكبير على اللغة العربية؛ فقد كان السبب الرئيس في جمع اللغة واستنباط قوانينها، كما أمد اللغة بالكثير من الأساليب والألفاظ التي تعد في قمة الفصاحة والبلاغة، وهو معين فياض لعلماء اللسان العربي يستقون منه ما يفيض لهم بالعلم من ضبط مفردات، واستقصاء حقائق ومجازات وتراكيب وتصاريح وكنيات<sup>(٢)</sup>. فمن أجل فهم كل ذلك أنشئت علوم اللسان العربي، ومنها علوم القرآن الكريم، ومنها:

(\*) جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية .

(١) - هو : طه بن صالح الفضيل الراوي . ولد في راوة بالأنبار عُيِّنَ مديراً للمطبوعات، فسكرتيراً لمجلس الأعيان فأستأذناً في دار المعلمين العالية ١٩٣٩م. له مؤلفات في التاريخ والأدب العربي منها (بغداد مدينة السلام) و(تاريخ العرب قبل الإسلام). توفي في بغداد سنة ١٩٤٦م الأعلام ٣/٢٣٢.

(٢) ينظر : تأريخ علوم اللغة العربية : ١٠٧ .

١- مفردات القرآن الكريم.

٢- غريب الحديث.

٣- التفسير.

**مفردات القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>:**

أَلْفَتْ في بداية المئة الثالثة للهجرة مؤلفات بعنوان (غريب القرآن) يقوم مؤلفوها بجمع غريب ألفاظ القرآن الكريم، ويفسرون معناها لتسهيل فهم القرآن الكريم على الناشئة التي نشأت بعد الفتح واختلاط العرب بالعجم. ويرى الأستاذ الراوي أن القرآن الكريم ليس فيه شيء غريب؛ "لأن مدارسة القرآن على السنة الملايين من الناس منذ بدء الوحي إلى هذا العهد أخذت على الغرابة مجامع السبل، فلم تجد إليه سبيلاً، ولا تجد لفظاً من ألفاظه غير مألوفة الاستعمال ومعروفة المعنى واضحة المغزى"<sup>(٤)</sup>.

فهو يذهب إلى أن ألفاظ القرآن الكريم ما عاد فيها شيء غريب لكثرة مدارسته، كما إنه أشار إلى أن اللغويين القدامى جعلوا الغرابة من عيوب الفصاحة، بهذا لا يمكن أن نصف ألفاظ القرآن الكريم بأنها غريبة، إذ معنى الغرابة أنها غير مألوفة، أما القرآن الكريم فقد أجمع الأولون وآخرون على أنه أفصح كتاب في اللغة العربية ولم يستطع العرب أن يأتوا بأية مثله.

وذكر الأستاذ الراوي أن ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه "هي لب لباب كلام العرب وصفوة الصفة منه، وأنها معتصم المتأدبين، ومرجع العلماء والمحققين بل بمثابة أمراء القول من المتقدمين والمتأخرين"<sup>(٥)</sup>.

(٣) نشر الأستاذ طه الراوي بحثاً بعنوان مفردات القرآن في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: ١٢٠ وما بعدها. ووضعه أولاده ضمن كتاب تاريخ علوم اللغة العربية: ١٠٦ وما بعدها.

(٤) تاريخ علوم اللغة العربية: ١٠٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٧.

وكان في مقدمة الذين ذكرهم الأستاذ طه الراوي، وعده أول من ألف في هذا الغرض أبو عبيدة معمر بن المثنى<sup>(٦)</sup> (ت ٢٠٩هـ) وكتابه (المجاز في غريب القرآن) وله كتاب آخر باسم (معاني القرآن)، أما المراد من معاني القرآن الكريم فهو تفسير مفرداته، وذهب الأستاذ الراوي إلى أن هذا المصطلح معروف عند القدماء بمعنى التفسير<sup>(٧)</sup>. ولكن لو رجعت إلى كتاب تاريخ علوم اللغة العربية لوجدت الأستاذ طه الراوي يذكر قبل أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) أبا جعفر الرؤاسي (ت ١٨٧هـ) وكتابه (معاني القرآن)، وأبا فيد المؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ) وكتابه (غريب القرآن)، وذكر ليحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) كتاب (معاني القرآن)<sup>(٨)</sup>، وذكر الأستاذ الراوي أن أهل العلم قبلوا على هذا الباب وألفوا فيه، فلو راجعت مؤلفات أئمة اللغة وأهل العلم لوجدت في مقدمة مؤلفات كل واحد منهم مؤلفاً في هذا الموضوع، أمثال: الزجاج (ت ٣١١هـ) في كتابه (معاني القرآن)، والأخفش الأوسط (ت ٢١٠هـ) أيضاً (معاني القرآن)، وعلي بن سلام الجُمحي (ت ٣٢١هـ) في كتاب (غريب القرآن).

ويرى الأستاذ الراوي أن أجمع هذه المؤلفات كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ)، وأشار إلى أن الكتب المؤلفة في هذا الباب كانت أشبه بالمعاجم اللغوية، وكانت خالية من الترتيب

(٦) معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) أديب، لغوي، إخباري، ولد ومات بالبصرة. زار بغداد، ودرس على أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب، فصار أحد ثلاثة تعاصروا وتنافسوا: هو، وأبو زيد، والأصمعي. امتاز عنهما بمعرفة أيام العرب وأخبار الجاهليين.

(٧) ينظر: تاريخ علوم اللغة العربية: ١٠٩.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٩٣.

والتبويب، حتى جاء أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ) بكتابه (نزهة القلوب)، إذ رتبته على حروف المعجم، ولم يسبقه أحد لهذا الترتيب، فبدأ بالهمزة المفتوحة، ثم المضمومة، وبعدها المكسورة، وهكذا باقي حروف المعجم، وقال الأستاذ الراوي: إن "هذا الكتاب على صغر حجمه من ألقن ما ألف من نوعه، وقد قيل إنه أقام في تأليفه خمسة عشر عامًا يُحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري"<sup>(٩)</sup>. واستمر التأليف في هذا الباب إلى أن ألف أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي<sup>(١٠)</sup> (ت ٤٠١هـ) كتابه (الغريبين في القرآن والحديث) الذي جمع فيه بين غريب القرآن وغريب الحديث مرتبًا الكلمات التي تحتاج إلى تفسير على حروف المعجم وذكر معانيها، فجمع كتابه هذا (دقة التحقيق وجودة الترتيب والتبويب؛ ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده)<sup>(١١)</sup>، وذكر الأستاذ الراوي أن الاستدراكات والاضافات قد كثرت عليه. ثم ألف الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني<sup>(١٢)</sup> (ت ٥٨١هـ) كتاب (المجموع المغيبي في غريب القرآن والحديث) الذي جمع فيه ما فات على الهروي، وسار على مسلكه نفسه.

والتبويب، حتى جاء أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ) بكتابه (نزهة القلوب)، إذ رتبته على حروف المعجم، ولم يسبقه أحد لهذا الترتيب، فبدأ بالهمزة المفتوحة، ثم المضمومة، وبعدها المكسورة، وهكذا باقي حروف المعجم، وقال الأستاذ الراوي: إن "هذا الكتاب على صغر حجمه من ألقن ما ألف من نوعه، وقد قيل إنه أقام في تأليفه خمسة عشر عامًا يُحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري"<sup>(٩)</sup>. واستمر التأليف في هذا الباب إلى أن ألف أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي<sup>(١٠)</sup> (ت ٤٠١هـ) كتابه (الغريبين في القرآن والحديث) الذي جمع فيه بين غريب القرآن وغريب الحديث مرتبًا الكلمات التي تحتاج إلى تفسير على حروف المعجم وذكر معانيها، فجمع كتابه هذا (دقة التحقيق وجودة الترتيب والتبويب؛ ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده)<sup>(١١)</sup>، وذكر الأستاذ الراوي أن الاستدراكات والاضافات قد كثرت عليه. ثم ألف الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني<sup>(١٢)</sup> (ت ٥٨١هـ) كتاب (المجموع المغيبي في غريب القرآن والحديث) الذي جمع فيه ما فات على الهروي، وسار على مسلكه نفسه.

وَأَلَّفَ الرَّاعِبُ الْأصفهاني أَبُو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت ٥٠٢هـ) كتابه (مفردات

(٩) المصدر نفسه : ١١٠ .

(١٠) أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الشافعي (٤٠١هـ) اللغوي المؤدب الشهير بـأبو عبيد الهروي، ويقال له الفاشاني نسبة إلى فلشان وهي قرية من قرى هراة، فقيه شافعي ولغوي.

(١١) تاريخ علوم اللغة العربية : ١١٠ .

(١٢) أبو موسى المديني (٥٨١هـ) هو أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني الشافعي، صاحب التصانيف الإمام العلامة الحافظ الكبير الثقة، شيخ المحدثين.

وَأَصُولِ الْاشْتِقاقِ .  
نَهَبَ الْأستاذ طه الراوي إلى أنه لم يأت بعد كتاب الراغب الأصفهاني أفضل منه في هذا الموضوع. إلى هنا انتهى تأريخ الأستاذ الراوي لمفردات القرآن الكريم .  
**غريب الحديث<sup>(١٥)</sup> :**

وَضَعَ علماء اللسان من المتقدمين مؤلفات في تفسير غريب حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد جعلوا عنوانها (غريب الحديث)، وعند الرجوع إلى العرب تجدهم يقولون إن اللغة العربية لم تعرف كلاً بعد القرآن الكريم أفصح ولا أبلغ ولا أجمل من كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قد يرد في ذهن القارئ سؤال: "إذا كان الأمر على ما وصفت فمن أين سلكت الغرابة إلى بعض ألفاظه، وتطرق التعقيد إلى بعض معانيه، والغرابة لا تُساكن الفصاحة، والتعقيد لا يُجاور

(١٣) تاريخ علوم اللغة العربية : ١١١ .

(١٤) عبد الله بن عمر البيضاوي، أحد علماء أهل السنة والجماعة، وهو فقيه وأصولي شافعي، ومتكلم ومحدث ومفسر ونحوي.

(١٥) نشر الأستاذ طه الراوي مقالة بعنوان (غريب الحديث) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، العدد السابع : ١ يوليو ١٩٤١م، ووضعت ضمن كتاب (تاريخ علوم اللغة العربية).

كانَ موجَّهًا لهم؛ "لأنَّ اللفظَ لبعضِ الرواةِ وهمُ غيرِ حجازيِّ القبيلةِ أو البلدِ" (١٩). ومَرَّ تفصيلُهُ في موضوعِ الاستشهادِ بالحديثِ الشريفِ في الفصلِ الثاني.

بدأ الأستاذُ طه الراوي يُورِخُ لحركةِ التآليفِ في غريبِ الحديثِ بكتابِ أبي عبيدةِ مُعمرِ بنِ المثنيِّ (ت ٢٠٩هـ) الذي جمعَ في هذا البابِ كتابًا صغيرًا، ذلكَ لأنَّ أبا عبيدةِ كانَ مُبتدئًا في هذا البابِ ولأنَّ اللغةَ في ذلكَ العصرِ ما زالتْ مُورقةً، ولم تكنْ بحاجةً لكثيرٍ منَ التفسيرِ للألفاظِ التي عدَّوها غريبةً، ولم يستفحلْ أمرُ اللَّحْنِ بعدُ.

بعدَ أبي عبيدةِ جاءَ النضرُ بنُ شميلِ المازنيِّ (٢٠) (ت ٢٠٣هـ) بكتابٍ أكبرِ حجمًا، جمعَ فيه ما جاءَ في كتابِ أبي عبيدةِ وأضافَ إليه ووسَّعَ في الشرحِ والإيضاحِ. أمَّا كتابُ الأصمعيِّ (ت ٢١٦هـ) فقد أربى على ما جاءَ به أبو عبيدةِ في المادةِ والتبسيطِ في البيانِ، في رأيِ الأستاذِ الراوي، كما ذهبَ إلى أنَّ جُلَّ أئمةِ اللغةِ جمعوا جُملةً منَ أحاديثِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله) وتكلَّموا في لغتها وفسَّروا معانيها، وإنَّهم في الغالبِ يتواردونَ على نفسِ الحديثِ يفسِّره كلُّ واحدٍ منهم حسبَ ما وصلَ إليه منَ العلمِ، ولم ينفردَ أحدٌ منهم بالشيءِ الكثيرِ. حتى أَلَّفَ أبو عبيدِ القاسمُ بنُ سلامٍ (ت ٢٢٣هـ) كتابَ (غريبِ الحديثِ) في هذا الموضوعِ أشتهرَ بينَ الناسِ، وقد جمعَهُ في أربعينَ سنةً، وجمعَ فيه ما لم يجمعهُ أحدٌ منَ قبليه منَ الأحاديثِ (٢١). وجمعَ عبدُ الله بنُ مسلمِ بنَ قتيبةِ الدينوريِّ (ت

(١٩) المصدر نفسه : ١١٤ .

(٢٠) أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة المازني التميمي البصري . قاضٍ ولغوي وراوٍ للحديث وفقهه، أخذ عن الخليل بن أحمد ولازمه مدةً طويلةً، وأقام بالبادية زمناً فأخذ عن فصحاء العرب. تُوفِّي سنة ٢٠٣هـ .

(٢١) تأريخ علوم اللغة العربية : ١١٥ .

البلاغة؟" (١٦)، فكانَ جوابُ الأستاذِ طه الراوي على هذا السؤالِ بأنَّ الغرابةَ هنا نسبيةٌ؛ لأنَّ المرادَ منَ الغرابةِ ليس بمعناها عندَ المتأخرينَ أي الخروجَ عن المألوفِ في ألفاظِ المتكلمينَ، لكن المرادُ بها إذا كانَ الخروجُ عن المألوفِ في الكلامِ للمخاطبينَ به، أي منَ وجَّهَ له الخطابُ، فلا يُوصفُ بالغرابةِ ولا الإبهامِ، وذهبَ الأستاذُ الراويُّ إلى أنه إذا كانَ المقصودُ منَ الفصاحةِ في الكلامِ خلوهُ منَ الألفاظِ الغريبةِ للناسِ كافةً وباختلافِ الزمانِ والمكانِ، فلا يوجدُ هكذا كلامٌ منذُ الجاهليةِ إلى وقتنا هذا، فوصفَ الغرابةَ بالنسبيةِ؛ لأنها "تختلفُ باختلافِ الناسِ والزمانِ والمكانِ، فربَّ لفظٍ يكونُ معروفًا مألوفًا في زمانٍ أو بلدٍ، ومنكورًا مجهولًا في زمانٍ أو بلدٍ آخر" (١٧).

إذن الغرابةُ مرتبطةٌ بمن يتلقَّى الكلامَ ومكانهُ وزمانهُ، فلا ينبغي أنَ نَصِفَ الكلامَ بالغرابةِ المطلقةِ كما يُسمِّيها الأستاذُ طه الراوي، وإنَّما يجبُ أنَ نرجعَ إلى مورها، وما يتصلُ بها منَ الزمانِ والمكانِ، وعندها نجدُ أنها قيلت في موضعها، ولو وُضعتْ غيرها مكانها لوسَّمتْ بالغرابةِ في ذلكَ الزمانِ والمكانِ (١٨) .

كما عللَ الأستاذُ طه الراوي وجودَ الغرابةِ في الكلامِ النبويِّ بقوله: إنَّ الذينَ رَووا الأحاديثَ ونقلوها إلينا، كانوا يروونَ الأحاديثَ بالمعاني لا بالألفاظِ، وهؤلاءِ الرواةُ كانوا مختلفو الأنسابِ والبلادِ ففهم "القُرشيِّ والكنانيِّ والبكريِّ والتغلبِيِّ والهمدانيِّ والكِنديِّ ..."، فإذا رَوَى أحدُهم الحديثَ فتكونُ ألفاظُ الحديثِ المرويِّ منَ ألفاظِ قومِ الراويِّ، كما إنَّ بعضَ الأحاديثِ نُقلتْ بلغةٍ تختلفُ عن لغةِ أهلِ الحجازِ رُغمَ أنَّ الخطابَ

(١٦) تأريخ علوم اللغة العربية : ١١٢ .

(١٧) المصدر نفسه : ١١٣ .

(١٨) ينظر : المصدر نفسه : ١١٤ .

٢٧٦هـ)، بعد أن رأى اعتماد الناس على كتاب أبي عبيد القاسم، كتاباً وضع فيه ما فاتته وسار فيه على مسلك أبي عبيد في التفسير والشرح. وألف إبراهيم بن إسحاق الحربي<sup>(٢٢)</sup> ٢٨٥هـ أطال فيه الشرح وبسط القول في الأحاديث التي جمعها مما جعل الناس يزهّدون فيه؛ بسبب الإطالة وذكر أسانيد الأحاديث ومتونها من أولها إلى آخرها، وقد لا يكون في الحديث ما يحتاج إلى الشرح غير الكلمة أو الكلمتين. وجاء بعده الإمام أحمد بن محمد الخطابي السبتي<sup>(٢٣)</sup> (ت ٣٨٦هـ) بكتابه (غريب الحديث) الذي جمع فيه ما فات أبي عبيد القاسم وابن قتيبة وسلك طريقتَهُما<sup>(٢٤)</sup>.

وصف الأستاذ طه الراوي هذه المؤلفات وغيرها من مؤلفات غريب الحديث عدا كتاب الحربي، بأنها غير مبنية بأسلوب يسهل على المراجعين لها الاستفادة، وتحتاج للكثير من العناء للعثور على الكلمة الغريبة، فلا يُعلم في أي الكتب ذكرت هذه الكلمة فيحتاج إلى قراءتها كلها، والبحث في كل الكتب عن هذه الكلمة، حتى جاء زمن أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١هـ) ووضع كتابه في غريب القرآن وغريب الحديث وجمع فيه ما فات أبي عبيد وابن قتيبة، وأضاف ما تتبّعهُ بنفسه، ولم يرد في كتب من سبقوه. وربّهُ على حروف المعجم.

جاء بعده الإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وألف كتاب (الفاثق) مرتباً على حروف المعجم، ولكنّه عندما يُورد حديثاً أو بعضه، وفيه

(٢٢) إبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥هـ). كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميّزاً لعلله، قيماً بالأدب، جماعة للغة.

(٢٣) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي الشافعي، محدث وفقه وعالم من كبار أئمة الشافعية.

(٢٤) ينظر: تاريخ علوم اللغة العربية: ١١٦.

أكثر من كلمة تحتاج إلى شرح يشرحها جميعاً في الموضوع الذي ذكر فيه الحديث، فلا يكون مرتباً حسب الحروف، وفي ذلك صعوبة على المراجع؛ لأنه يحتاج إلى جهد في البحث عن الكلمة المطلوبة، وهذا الأمر كان سبباً في عدم اشتهاه الكتاب بين الناس رغم ما فيه من دقائق علمية وحقائق لغوية<sup>(٢٥)</sup>.

ذكر الأستاذ الراوي أن أبا موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني (ت ٥٨١هـ) ألف كتاباً في غريب القرآن والحديث، أيضاً جمع فيه ما فات الهروي - مر الحديث عنه - أما أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري<sup>(٢٦)</sup> (ت ٦٠٦هـ) جمع فيه ما في كتاب الهروي وأبي موسى المديني الأصفهاني من غريب الحديث بدون غريب القرآن، ووضع كل كلمة مع أختها لسهولة الحصول عليها، وأضاف عليهما كثيراً مما فات المؤلفين، ومما في كتب الصحاح كالبخاري ومسلم، ومن كتب اللغة، على نفس طريقة الهروي في الترتيب والتبويب، مُعتمداً على الحروف الأصلية للكلمة إلا أنه في كثير من الكلمات اعتبر الحروف الزائدة في أوائل الكلمات بمثابة الأصلية ليسهل على الطلاب والذين لا يميزون بين اللفظ الأصلي والزيادات الحصول على الكلمة التي يريدون، وعندما يفعل ذلك يذكر أصل الكلمة والزيادة لكي لا يذهب من لا يعرف أصلها إلى أن هذه الزيادة من أصل الكلمة، وقد سمى كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر)، وهو مطبوع، ووصفه الأستاذ الراوي بأنه "أجل كتاب ألف في هذا العلم أجمعه، وعليه الاعتماد في

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ١١٧

(٢٦) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير (٦٠٦هـ)، محدث لغوي عربي.

فَنَّهُ، وقد صارَ مرجعًا لمؤلفي المعاجم اللغوية من بعده. ولا نَعْرِفُ أَنْ أَحَدًا أَلْفَ بَعْدَهُ كِتَابًا يَسَاوِيهِ أَوْ يُقَارِبُهُ" (٢٧).

كما ذكرَ الأستاذُ الراويُّ أَنَّ جلالَ الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) قام بتلخيص كتاب النهاية وضم إليه كثيرًا مما فات ابن الأثير واسماه (الدرّ النثير في تلخيص نهاية ابن الأثير)، قال فيه الأستاذُ طه الراويُّ: "مَنْ وَقَفَ عَلَى النِّهَايَةِ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ لَمْ يَرِقْ لِنَظَرِهِ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى" (٢٨)، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ السِّيُوطِيَّ قَدْ ذَهَبَ فِي تَلْخِيصِهِ بِرَوْنِقِ النِّهَايَةِ وَجَمَالِهِ وَضَيْقِهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ وَاسِعٌ فَسِيحٌ.

بعد تتبع الأستاذ طه الراوي للتأليف في مفردات القرآن الكريم وغريب الحديث رأى أَنَّ المؤلفات في غريب الحديث قد تجاوزت المؤلفات في غريب القرآن وربت عليها، وإن ازدحام أقلام أهل العلم في غريب الحديث أكثر منه في مفردات القرآن؛ ذلك لأن الأحاديث والآثار (فسيحة الرقعة منتشرة الأطراف، واسعة الأرجاء، ولما توقق العالم المبرز إلى استقصاء أكثرها فيأتي عالم آخر من بعده فيستدرك عليه كثيرًا مما فاتته، ثم يأتي ثالث ويستدرك على الثاني، وهكذا على ما علمت فيما مرّ، بخلاف القرآن الكريم فإنه مجموع بين دفتيه، متواترٌ بكل ما في معنى التواتر من قوة، وبهذا يسهل على أهل العلم استقصاء كل ما فيه من المفردات، فلم يبق إلا اختلاف أنظارهم في تفسير بعض الكلمات، واختلاف فهم في إيجاز الشروح أو الإطناب فيها، واختلاف أدواقهم في الترتيب والتبويب والتنقيح والتهذيب) (٢٩) هذه الأمور التي

ذكرها الأستاذ طه الراوي لا تعدّ في الصعوبة مع ما يُواجهه المؤلفون في غريب الحديث؛ لأن الحديث واسع، ورواته لا يعدون، وإن العلماء جوزوا نقل الأحاديث بالمعنى فقد يرد الحديث الواحد بأكثر من رواية وأسلوب، فيكون بذلك مجال رجال غريب الحديث أوسع من مجال مفردات القرآن الكريم؛ ولأن القرآن مجموع برواية متواترة.

### تاريخ التفسير:

التفسير في اللغة: من الفسر، أي "البيان، وفسر الشيء يُفسره - بالكسرة ويفسره - الضم فسراً. فسره أبانه... الفسر كشف المعنى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل" (٣٠)، وقال الذهبي (٣١): "التفسير هو الأيضاح والتبيين... وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف" (٣٢).

أما التعريف الاصطلاحي: لعلم التفسير، فقد نقل السيوطي تعريف الزركشي (٣٣) وهو: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه واله) وبيان معانيه، واستخراج احكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ" (٣٤). وقال الذهبي "يرى بعض العلماء: أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد، لأنه ليس

(٣٠) لسان العرب: مادة فسر.

(٣١) محمد حسين الذهبي ١٩٧٧م وزير الأوقاف المصري الأسبق. التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر وتخرج منها أي الدكتوراه، بدرجة أستاذ في علوم القرآن من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر وذلك عن رسالته (التفسير والمفسرون).

(٣٢) التفسير والمفسرين: ١٢.

(٣٣) بدر الدين الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله المصري. فقيه شافعي، أصولي ومحدث، له مؤلفات في علوم كثيرة.. تُوِّفِّي سنة ٧٩٤هـ.

(٣٤) الاتقان في علوم القرآن: ١٦٩

(٢٧) تاريخ علوم اللغة العربية: ١١٩.

(٢٨) المصدر نفسه: ١١٩.

(٢٩) المصدر نفسه: ١٢٠.

- (بعيدُ المشقة، محفوفٌ بالمشقة، جمُّ العقبات، كثيرُ التعاريج...)(٤٠).

### مسلكُ الأستاذ طه الراوي:

كما في كُلِّ علمٍ من علومِ اللغةِ اعتمدَ الأستاذُ طه الراوي في بيانِ تاريخِ العلمِ على ذكرِ رجالِ العلمِ، وما أَلَّفوا فيه من المؤلفاتِ والمصنفاتِ، أما في علمِ التفسيرِ فقد ذكرَ أنه ليسَ بصددِ الحديثِ عن رجاله؛ لأنه سلكَ في هذا العلمِ (منهجًا مبتكرًا) شقَّه لنفسه، يذكرُ فيه ما مرَّ به علمُ التفسيرِ من أطوار. وأما الحديثُ عن رجاله فقد عُنيَتْ بهم كُنُوبُ طبقاتِ المفسرينَ، وهي "مقصورةٌ على التراجعِ على طريقةِ أهلِ الحديثِ من توجيهِ العنايةِ إلى التجريحِ والتعديلِ" (٤١). فقَسَمَ الأستاذُ الراويُّ تاريخَ التفسيرِ إلى ثلاثِ مراحلٍ، هي:

#### ١- التفسيرُ في عهدِ الوحي.

#### ٢- الاستعانةُ بأسبابِ النزولِ.

#### ٣- الاستعانةُ بالسلاتقِ.

#### التفسيرِ في عهدِ الوحي :

أشارَ الأستاذُ الراويُّ إلى أنَّ الصحابةَ كانوا يستعينونَ بأسبابِ نزولِ الآياتِ في تفسيرِها وفهمِ مُرادها، فأَسبابُ النزولِ التي ذكرها تتمثلُ في أنَّها "ابتداءً لتقريرِ حقيقةٍ أو تثبيتِ عقيدةٍ، أو قصِّ خيرٍ، أو تشريعِ حُكمٍ جديدٍ. وإما على أثرِ حادثَةٍ مهمةٍ، أو نازلةٍ ملمةٍ، أو جوابًا عن سؤالٍ، أو ردًّا على مقالٍ، إلى غيرِ ذلك" (٤٢)، أو قد يفهمونَ مقصدهُ من خلالِ "اطلاعهم على مجاري ما نَزَلَ به" (٤٣).

إذ هم شهودٌ على ما يحصلُ ويفهمونَ المقصودَ من نزولِ الآيةِ، أمَّا الرأيُ الثالثُ الذي ذكره الأستاذُ

قواعدُ أو ملكاتٌ ناشئةٌ من مزاولةِ القواعدِ كغيره من العلومِ" (٣٥)، ويرى أنه يكفي في تعريفِ التفسيرِ أن يُقالَ: هو "بيانُ كلامِ الله، أو أنه المبيِّنُ لألفاظِ القرآنِ ومفهوماتها" (٣٦).

أما الأستاذُ طه الراوي فلم يذكرَ تعريفًا لِعِلْمِ التفسيرِ، وإنما اكتفى بدراسةِ تاريخِ هذا العلمِ (٣٧) . وذهب إلى أنَّ القدماءَ قد أحاطوا القرآنَ الكريمَ بالعنايةِ والرعايةِ، وكان ناتجُ هذه العنايةِ أنْ تكونتَ لديهمُ جُملةٌ من المباحثِ، وهي ما اطلقوا عليه (علومَ القرآنِ)، ويرى الأستاذُ طه الراوي إنَّ علمَ التفسيرِ هو (رأسُ تلكِ العلومِ ومجمعُ أسرارها، وقصاصُ لُبِّها... ولهذا تجارَت في حَلْبَتِهِ أَقلامُ العلماءِ...) (٣٨)، ويرى أنَّ رجالَ هذا العلمِ توافروا، ومناحيه اختلفتْ، لاختلافِ آراءهم، إذ قلما برعَ في تلكِ العلومِ بارعٌ ولا تجدُ له في علمِ التفسيرِ مقالًا.

وبهذا تعددتْ مسالكُ هذا العلمِ فكلُّ منهم يسلكُ طريقةً خاصةً به، ومن تلكِ المسالكِ: مسلكُ أهلِ الروايةِ، ومسلكُ أهلِ الدرايةِ، ومسلكُ الفلاسفةِ والمتكلمينَ، ومسلكُ علماءِ اللسانِ، ومسلكُ الصوفيةِ... ولكُلِّ مسلكٍ من هذه المسالكِ اتباعٌ يؤيدوه (٣٩).

ويرى الأستاذُ طه الراوي أنَّ طالبَ التفسيرِ يجبُ أن يكونَ مُلمًا بما تقلبَ عليه هذا العلمُ من أطوارٍ وأحوالٍ. فإنَّ علمَ التفسيرِ - في نظره

(٣٥) المصدر نفسه : ١٢

(٣٦) المصدر نفسه : ١٢

(٣٧) في محاضرات ألقاها الأستاذ طه الراوي ، وقد جمعها ولده حارث طه الراوي في كتاب : مباحث إسلامية: ٦٧ وما بعدها .

(٣٨) مباحث إسلامية : ٦٧

(٣٩) ينظر : المصدر نفسه : ٦٧

(٤٠) المصدر نفسه : ٦٧

(٤١) المصدر نفسه : ٦٨

(٤٢) المصدر نفسه : ٦٨

(٤٣) المصدر نفسه : ٦٨

طه الراوي، أنهم كانوا يفهمون المقصود من الآيات بحكم مجيئها (على مناحي مخاطباتهم ومجاري محاوراتهم) (٤٤)، وقال جلال الدين السيوطي "إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه" (٤٥).

فكانوا يفهمون المطلوب والمعنى المراد من الآيات باعتمادهم على لغتهم؛ لأنه نزل بها وهم أفصح العرب على مر العصور، وأفهم بلغتهم. وقد يرجعون إلى تفسير القرآن بالقرآن، إذ ذهب الأستاذ طه الراوي إلى القول بأن القرآن يُفسر بعضه ببعضه، وإن غم عليهم بعد كل هذه السبل رجعوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) بالسؤال عما غم عليهم وهو أعلم الناس به.

#### الاستعانة بأسباب النزول:

من الوسائل التي استعان بها المسلمون الأوائل في تفسير القرآن الكريم أسباب النزول. فكانت النوع الأول من وسائل الايضاح، فكانوا لا يصعب عليهم أن يعرفوا أسرار التنزيل والمقصود منه؛ لأنهم يقفون على الأحداث قبل نزول الآية وبعد نزولها، جعل الأستاذ طه الراوي ذلك سبباً في "عدم اختلاف الصحابة في معنى الآية الواحدة" (٤٦)، وفي ذلك أمثلة كثيرة، منها:

تفسير الآيات الأولى من سورة الروم: قال تعالى (الم \* غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (٤٧). في بداية الدعوة الإسلامية كانت الحرب بين الفرس والروم قائمة، والروم أصحاب كتاب، أما الفرس

فأصحاب أوثان، وغلب الفرس الروم، وفرح المشركون؛ لأنهم أصحاب أوثان أيضاً، و"كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس" (٤٨)، فلما غلب الفرس الروم، قال المشركون للمسلمين "الفرس وثنيون وقد غلبوا الروم وهم أهل كتاب مثلكم، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي معكم، ولو كان للكتب السماوية أصل لما اندحر الكتابيون أمام الوثنيين" (٤٩). فنزلت هذه الآيات "بالوعد القطعي منه تعالى بنصرة دينه" (٥٠).

ضرب الأستاذ طه الراوي مثلاً آخر يوضح سهولة تفسير القرآن، وفهم مقصده لدى الصحابة؛ بسبب اطلاعهم على مجاري الأمور التي نزل القرآن الكريم فيها، نحو: غزو الأحباش للحجاز قبل البعثة النبوية بأربعين سنة، أي عام مولد النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ إن ملك الحبشة غزا اليمن وبنى فيها كعبة، وأمر سكان مملكته بالهجرة إلى كعبته، ولكن الناس بقوا يحجون إلى بيت الله، فعزم على هدم البيت (٥١) وسير جيشاً كان فيه عدد من الفيلة وفي مقدمتها فيل عظيم، أطلق الناس على ذلك الجيش (أصحاب الفيل)، فكان "من أسنى ما أنعم الله به على قريش إذ خالصهم من عدوهم ورفع شأنهم بين العرب، بسبب ذلك النصر" (٥٢)، حين أرسل الطير الأبايل، وعند بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) كان كثير من الذين شهدوا هذه الواقعة مازالوا أحياء، وقد بلغت "من الشهرة والذيع بالمكانة التي لا تخفى

(٤٨) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٥ - ١٦ : ٤٠٠

(٤٩) مباحث إسلامية : ٦٩

(٥٠) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٥ - ١٦ : ٣٩٤

(٥١) المصدر نفسه: ج ١٩ - ٢٠ : ٦١٨

(٥٢) مباحث إسلامية : ٦٩

(٥٣) المصدر نفسه : ٦٩

(٤٤) المصدر نفسه : ٦٨

(٤٥) الإتيان في علوم القرآن : ١٧٠

(٤٦) مباحث إسلامية : ٦٨

(٤٧) سورة الروم : ١-٥

على أحد<sup>(٥٣)</sup>، فلم تكن هناك حاجة لتفسير قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)<sup>(٥٤)</sup>، لما نزلت بعد البعثة؛ لأنهم يعلمون سبب نزولها فقد شهدوا الحدث أو سمعوا به.

وفي هذا المعنى أمثلة كثيرة، وقد اختلفت أسباب نزول الآيات - كما مر - فقال الأستاذ طه الراوي وبالجملة فإن الوقائع التي جرت على أيدي الصحابة (رض) أو كانوا على علم من مجرياتها ونزل فيها شيء من القرآن، فإن علمهم بمجريات الحوادث يكفي لإيضاح المنزّل، ويغني عن التساؤل<sup>(٥٥)</sup>.

#### الاستعانة بالسلائق<sup>(٥٦)</sup> :

ذكر الأستاذ طه الراوي أن القرآن الكريم نزل على العرب وهم قمة الفصاحة والبلاغة، وبأساليب مخاطبتهم، فإذا سمعوه وقّع في نفوسهم وفهموه بوضوح<sup>(٥٧)</sup>، قال السيوطي: "إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره واحكامه"<sup>(٥٨)</sup>، وأشار الأستاذ طه الراوي إلى أنه لا يغم عليهم شيء منه؛ لأنهم فرسان البيان وأمرء الكلام. وقال إنهم إذا سمعوا قوله تعالى (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ\* فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ\* وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ\* وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ\* وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ\* وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ\* لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ)<sup>(٥٩)</sup> فهموا معنى هذه الآيات، وأدركوا المراد منها.

كما أشار إلى أنهم يفهمون القرآن الكريم بالاعتماد على سلاتقهم العربية، ثم بإرجاع

(٥٤) سورة الفيل : ١

(٥٥) مباحث إسلامية : ٧٣

(٥٦) سُلِقَ فلانٌ على هذه السليقة: فطر عليها

(٥٧) مباحث إسلامية : ٧٣

(٥٨) الإتيان في علوم القرآن : ١٧٠

(٥٩) سورة الواقعة : ٢٧ - ٣٣

مُجْمَلِ الْقُرْآنِ إِلَى مُفْصَلِهِ، لَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جَاءَ مُجْمَلًا فِي مَوَاضِعَ وَمُفْصَلًا فِي أُخْرَى، فمَثَلًا قَوْلُهُ تَعَالَى (أَجَلْتُ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ...) (٦٠) مُجْمَلًا، بَسَّطَهُ وَقَفَّلَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ...) (٦١) وَمِنْ ذَلِكَ الْقَصِصِ الَّتِي يوردها والأخبار "على سبيل الموعظة والاعتبار، فإنها تأتي موجزة في موطن ومبسوطة في آخر حسب المقام ومقتضيات الأحوال"<sup>(٦٢)</sup>، أو قد يفهم تفسير الكلمة من خلال مجيء مرادف الكلمة بعدها، نحو قوله تعالى (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ\* وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ\* كِتَابٌ مَّرْقُومٌ\* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) (٦٣) فكلمة (عليون) فسرها ما جاء بعدها من المرادف، وذكر إن العربي عندما يسمع القرآن يذهب ذهنه إلى المراد منه.

#### مُجْمَلِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

سورة البقرة ثاني سورة في القرآن الكريم، وهي من السور التي نزلت في المدينة<sup>(٦٤)</sup>، تعدد أطول سورة في القرآن الكريم، وعدد آياتها مئتان وخمسة وثمانون آية، ذكر الأستاذ طه الراوي أنها أعظم سور القرآن الكريم؛ لأنها تشتمل على "أمهات القواعد الأصولية، ومعاهد الأحكام الشرعية"<sup>(٦٥)</sup>، وقال ابن كثير<sup>(٦٦)</sup> : "قال بعض

(٦٠) سورة المائدة : ١

(٦١) سورة المائدة : ٣

(٦٢) مباحث إسلامية : ٧٤

(٦٣) سورة المطففين : ١٨ - ٢١

(٦٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ٦١

(٦٥) مباحث إسلامية : ٤٤

(٦٦) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، الشافعي، الدمشقي، محدث ومفسر وفقهه.

العلماء: وهي مشتمة على ألف خير، وألف أمر، وألف نهي" (٦٧).

وللأستاذ طه الراوي محاضرات بعنوان (مجملي تفسير سورة البقرة) (٦٨)، فسّر فيه الآيات الأولى من سورة البقرة بطريقة جديدة في التفسير اعتمد فيها على ما حصل عليه من معاني من شروح المتقدمين من أهل التفسير وأنتهى بها إلى فكرة جديدة سوف يأتي الحديث عنها. إذ فسّر السورة على أساس أنها جمل، فقال: "افتتحت هذه السورة بجمل موجزة، متأخية، غاية في البلاغة والإبداع" (٦٩). وذكر أنّ سورة البقرة تبدأ بخمس جمل، وهي:

#### الجملة الأولى: (الم)

وهي حروف مقطعة، امتازت بها بعض سور القرآن الكريم، إذ جاءت في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة تبدأ بحروف مقطعة، ومجموع هذه الحروف أربعة عشر حرفاً، أي نصف حروف الكلام العربي، وهي (ا، ح، ر، س، ص، ط، ع، ل، ك، ق، ن، هـ، ي) وكلّ السور التي تبدأ بهذه الحروف هي مكّية النزول، ماعدا ثلاث سور، هي (البقرة وآل عمران والرعد). ذكر الأستاذ طه الراوي إنّ للعلماء أقوالاً كثيرة فيها، منهم الفخر الرازي (٧٠) الذي نقل في معنى هذه الحروف واحداً وعشرين قولاً (٧١)، ذكر الأستاذ طه الراوي من هذه

الأقوال ما رجّحه، فقال (إنّها مقتطفة من أسماء الله تعالى وصفاته رعاية للاختصار) (٧٢)، وذكر رأياً آخر ذهب إلى أنّه أحقّ بالقبول، إذ يقول (إنّ الله سبحانه وتعالى أقسم بهذه الحروف لعظمة شأنها وشرف مكانها، لأنّها أبسط عناصر الكلام، وأجلى واسطة للتفاهم، ثم هي أبسط عناصر الكتابة) (٧٣).

فهو يرى أنّ الكلام والكتابة "أقوى أداة يستعين بها الإنسان في حياته العلمية والعملية" (٧٤)، وعدّ الكلام والكتابة من أرقى مميزات البشرية، وإلى مثل هذا الرأي ذهب ابن الجوزي (٧٥)، إذ قال: "إنّها حروف أقسم الله بها" (٧٦)، فهذه الحروف هي أصول الكلام والكتابة، وأشار ابن الجوزي إلى أنّ هذه الحروف التي أقسم تعالى بها هي أصول الكلام وأنّ القرآن الكريم كلام مؤلف منها، أي هو من هذه الحروف.

والفائدة من هذه الإشارة إلى الحروف هي بمعنى القول: إنّ القرآن الكريم مكوّن من الحروف التي يتكلمون بها وعجزوا عن الإتيان بسورة مثل القرآن الكريم، فيكون القرآن الكريم معجزة الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ لأنّ العرب كانوا يفتخرون بالفصاحة والشعر، وجاء القرآن الكريم بأفصح لغة من لغات العرب وما هو بشعر.

(٧٢) مباحث إسلامية: ٤٤.

(٧٣) المصدر نفسه: ٤٤.

(٧٤) المصدر نفسه: ٤٤.

(٧٥) ابن الجوزي، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون.

(٧٦) زاد المسير في علم التفسير: ٣٧.

(٧٧) المصدر نفسه: ٣٨.

(٦٧) تفسير القرآن العظيم: ٦١.

(٦٨) نشرت في كتاب مباحث إسلامية: ٤٤ وما بعدها.

(٦٩) مباحث إسلامية: ٤٤.

(٧٠) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، (٦٠٦هـ) الطبرستاني المولد، القرشي، التيمي البكري النسب، الشافعي الأشعري الملقب بسليمان المتكلمين وشيخ المعقول والمنقول. هو إمام مفسر فقيه أصولي، عالم موسوعي.

(٧١) تفسير مفاتيح الغيب: الفخر الرازي: ج ٢ / ٦.

نصفَ حروف اللسانِ العربي في تسعٍ وعشرين سورة بعددِ حروفِ المعجمِ، فإنَّ فيها نصفَ الأصواتِ المهموسة<sup>(٨٦)</sup> التي هي (ض، ط، ل، هـ، ق، س، ح) كما ذكرَ إنَّ في الحروفِ المقطّعةِ نصفَ الأصواتِ المجهورة<sup>(٨٧)</sup> (ل، م، ن، ي، ع، ر) وفيها نصفَ الأصواتِ الشديدة<sup>(٨٨)</sup> في العربية (ا، ك، ط، ق)، أمّا الأصواتِ الرخوة<sup>(٨٩)</sup> التي جاءت في الحروفِ المقطّعةِ هي (م، ص، هـ، ع، س، ح، ي) وجاءَ فيها من الأصواتِ المُطبّقةِ<sup>(٩٠)</sup> (ص، ط) وهما نصف الأصواتِ المُطبّقةِ، وباقي الحروفِ المقطّعةِ تعتبرُ نصفَ الأصواتِ المنفتحة<sup>(٩١)</sup>، إذ هي باقي الأصواتِ العربية بعد اسقاطِ الأصواتِ المُطبّقةِ حتى أصواتِ القلقية<sup>(٩٢)</sup> يوجد منها (ق، ط) في الحروفِ المقطّعة<sup>(٩٣)</sup>.

(٨٦) الأصواتِ المهموسة : هي التي لا يهتز مع الوتران الصوتيان (علم الأصوات : كمال بشر)

(٨٧) الأصواتِ المجهورة : هو التي يهتز مع الوتران الصوتيان (علم الأصوات : كمال بشر).

(٨٨) الأصواتِ الشديدة : هي التي ينطبق فيها عضوا النطق (الثابت والمتحرك) التقاءً محكمًا ، فينحبس الهواء لفترة ثم ينفرج العضوان فيندفع الهواء مسرعًا محدثًا انفجارًا (علم الأصوات : كمال بشر)

(٨٩) الأصواتِ الرخوة : هي التي يلتقي فيه عضوا النطق (الثابت والمتحرك) التقاءً غير محكم (غير تام) فيخرج الهواء مع الضيق محدثًا حفيقًا و احتكاكًا. (علم الأصوات: كمال بشر)

(٩٠) الأصواتِ المُطبّقة : هي التي ينطبق فيها اللسان على الحنك الأعلى ، أخذًا شكلًا مقصرًا (علم الأصوات : كمال بشر)

(٩١) الأصواتِ المنفتحة : هي التي ينفتح فيها ما بين اللسان والحنك الاعلى ويخرج الهواء من بينها. (علم الأصوات : كمال بشر)

(٩٢) أصواتِ القلقية : هي الشديدة المجهورة في حال السكون بما يشبه البزة. (علم الأصوات : كمال بشر)

(٩٣) ينظر : الكشاف : ٣٤ .

وقد اتفقَ الأستاذُ الراوي مع ابنِ الجوزيِّ في هذا الرأي - كما مرَّ - إذ ذهبَ إلى أنَّ القسمَ بالحروفِ المقطّعةِ هو قسمٌ بأهمِ عناصرِ العلمِ التي شرفها يكونُ من شرفٍ ما يتركُّبُ منها، فقد ذكرَ الأستاذُ الراوي أنه تعالى أقسمَ بالكتابةِ وأدواتها، وهي الحروفِ والقلمِ في قوله تعالى (ن \* وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)<sup>(٧٨)</sup>، فهم يسطرون (الحروفِ الدالة على الألفاظِ الدالة على المعاني)<sup>(٧٩)</sup>، ثمَّ إنَّ حجتهُ فيما ذكرَ أنَّ هذه الحروفِ المقطّعةِ التي في بدايةِ السورِ كُلِّها ماعدا ثلاثِ سورٍ، هن: مريم والعنكبوت والروم، (جاءَ بعدها ذكرُ الكتابِ أو ما يشيرُ إليه أو ما يتعلقُ به)<sup>(٨٠)</sup>، نحو قوله تعالى (آلَم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ)<sup>(٨١)</sup>، في مُفْتَتِحِ سورةِ البقرة، وقوله تعالى (المص \* كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ...) (٨٢)، وقوله تعالى (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)<sup>(٨٣)</sup>، وهكذا بقيةِ السورِ التي افْتَتَحَتْ بهذه الحروفِ.

وقد ذهبَ الأستاذُ الراوي إلى أنَّ هذا الجمعُ بين الحروفِ والكتابِ، "هو جمعٌ بينَ أبسطِ عناصرِ القولِ وأعلى مرتبةٍ من مراتبه"<sup>(٨٤)</sup>. فهو يدفعُ العربَ إلى الانتباهِ إلى أنَّ القرآنَ الكريمَ مكوّنٌ من هذه الحروفِ التي بها يتكلمونَ، وأنَّهم عاجزونَ عن مساماتِ آياته أو يأتوا بمثلِ سورةٍ من سورهِ، فهذا دليلٌ كونه من عندِ اللهِ وليس من عندِ البشرِ<sup>(٨٥)</sup>.

إنَّ هذه الحروفَ لو عددتها وجدتها تُشكِّلُ

(٧٨) سورة القلم: ١-٢.

(٧٩) مباحث إسلامية : ٤٤.

(٨٠) المصدر نفسه : ٤٤.

(٨١) سورة البقرة : ١-٢.

(٨٢) سورة الأعراف : ١-٢.

(٨٣) سورة يونس : ١.

(٨٤) مباحث إسلامية : ٤٥.

(٨٥) ينظر : المصدر نفسه: ٤٥.

تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ) (٩٦)، رغم أنها بهذا القصر إلا أن الأستاذ طه الراوي يرى فيها من التعظيم والتفخيم لشأن القرآن الكريم الشيء الكثير، إذ يقول في معناها (كأنه يقول هذا هو الكتاب العظيم المتحلي بأسمى المزايا، وهو الذي لا يتسرب إليه الباطل، فهو الكتاب الجامع لمزايا الكتب الصحيحة كلها) (٩٧).

إنَّ الأستاذ الراوي يرى فيها إشارة إلى إنَّ القرآن الكريم نزل بعد أن نضج العقل البشري، لأنه ذكر إنَّ الكتب السماوية السابقة كان نزولها في (أزمان كان العقل البشري فيها لم يزل في مهد طفولته لا يقوى على تلقي التعاليم العالية ولا طاقة له بتناول دقائق العلم) (٩٨)، وكذلك مُنِيت هذه الكتب بالزيادات والنقصان كما حُرِّفت، لكنَّ القرآن الكريم بريء من الزيادة والنقص، جاء مؤيداً للعقل البشري الذي بلغ، فأناره وهداه، فانتقل عبر الأجيال سالماً من كل ما يدنسه (٩٩).

#### الجملة الثالثة:

قوله تعالى (لَا رَيْبَ فِيهِ) (١٠٠) فسر الأستاذ الراوي "الريب" بأنه القلق والاضطراب وهما يتولدان من الشك، والقرآن الكريم بعيد عن مضنة الشك، أما القلق والاضطراب فيرى أنهما "يتولدان من الشك في كونه من عند الله تعالى" (١٠١).

إنَّ القرآن الكريم لا يرتاب فيه، وهذا لا يعني عدم وجود مرتابين فيه فإنَّ المرتابين كثر (١٠٢)، ولكن المراد هنا إنَّه ناصح البرهان خالٍ مما يجعل النفس تقلق والعقول تضطرب فيه، إنَّما فيه كلُّ

(٩٧) مباحث إسلامية : ٤٦

(٩٨) المصدر نفسه : ٤٦

(٩٩) ينظر : المصدر نفسه : ٤٦

(١٠٠) سورة البقرة : ٣

(١٠١) مباحث إسلامية : ٤٦

(١٠٢) ينظر : الكشاف : ٣٦

وأضاف الأستاذ الراوي إلى ذلك أن في هذه الحروف التي افتتحت بها بعض السور إشارة إلى (طريقة تعليمية بديعة) (٩٤)، فذكر أنها تسهل عملية تعلّم حروف المعجم، إذ إنَّ المرء إذا تعلّم كتابة هذه الحروف سيكون قد تعلّم الجزء الباقي منها، أي تعلّم كتابة جميع الحروف، فمثلاً: لو تعلّم كتابة حرف الصاد، فيكون قد عرف كتابة حرف الضاد، وإذا تعلّم كتابة حرف الطاء يكون قد عرف حرف الظاء، وهكذا بقية الحروف، فمن تعلّم الحروف يكون قد عرف كتابة حرف الجيم وحرف الخاء كذلك في النطق فمن تعلّم نطق أصوات هذه الحروف كأنه تعلّم نطق باقي الأصوات.

وبهذا يتفق الأستاذ الراوي مع الزمخشري فيما مرّت الإشارة إليه، في أن من كل صفات الأصوات العربية يوجد النصف أو ما يقترب منه. ويستنتج إنَّ من تعلّم هذه الأصوات المقطعة أو الحروف يكون قد "أتقن النطق بالنصف الآخر الذي لم يرد في الفواتح، فكأنما الله تعالى أشار بهذا إلى وضع أسلوب علمي مبتكر لتسهيل تعليم الكتابة والقراءة وتقريبهما من تناول الأميين" (٩٥).

فالأستاذ الراوي ذكر أن القرآن الكريم قد نزل في أمة أمية، وإنَّ القرآن الكريم جاء لمعالجة تلك الأمية، وأفضل طريقة لمعالجتها هي الطريقة التي أشار إليها والتي استمدها من صفات الحروف المقطعة في فواتح السور المكية التي أشار إليها الزمخشري في كتاب (الكشاف)، وزاد عليه الأستاذ الراوي بربطها بهذه الطريقة في التعلّم.

#### الجملة الثانية :

ثاني الجمل القصيرة في سورة البقرة قوله

(٩٤) مباحث إسلامية : ٤٥.

(٩٥) المصدر نفسه : ٤٦.

(٩٦) سورة البقرة : ٢.

ما يجعل النفس والعقول تطمئن وتسكنُ إليه، وأشار الأستاذ طه الراوي إلى إنَّه إذا ارتاب فيه، إنَّما يكون الريب من مرض النفوس، وليس من شيء فيه أو نقص فالقرآن الكريم تامُّ كاملٌ من كلِّ نقصٍ وعيبٍ<sup>(١٠٤)</sup>.

#### الجملة الرابعة:

في وصف القرآن الكريم، قوله تعالى (هدى) للمُنْتَقِينَ<sup>(١٠٥)</sup>، وهي ثالثُ صفةٍ من صفات القرآن الكريم، فوصف الكتاب بالتعظيم والتفخيم، ثمَّ إنَّه خالٍ من الريب والشك، وثالثُ الصفات كونه (هدى) ونورٌ لمن يلتمسه ليقى نفسه من الوقوع في الشبهات، فذكر الأستاذ الراوي: "والمُتقى هو الذي يبتعد عن المضار وإذا داهمته يُدافعها، ومعنى اتقاء الله الابتعاد عما يجلبُ غضبه ويوجبُ عقابه"<sup>(١٠٥)</sup>، وذلك عن طريق الاهتداء بالقرآن الكريم، إذ ذكر إنَّ في الآية الرابعة إشارة إلى الهداية التي قُصِدَتْ في قوله تعالى (أهدينا الصراطَ المستقيم)<sup>(١٠٦)</sup> إي إنَّ الهداية المطلوبة في سورة الفاتحة قائمةٌ بالقرآن الكريم، ثمَّ إنَّه ذهبَ إلى أنَّ في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) من الناس فريقًا كانوا مستعدينَ للانتقاع بهدى القرآن الكريم، فالمتقون هم الذين يستضيئون بكلِّ بارقةٍ تومضُ لهم من هذا الكتابِ وبنوره يهتدون<sup>(١٠٧)</sup>.

إنَّ ما ذهبَ إليه في تفسير هذه الجملة الأربع سبق أن أشار إليه الزمخشري في تفسيره (الكشاف)<sup>(١٠٨)</sup>، إذ أشار إلى كون هذه الجملة متصلةً ببعضها متأخيةً مترابطةً، فيكون تقسيم

(١٠٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧

(١٠٤) سورة البقرة: ٤

(١٠٥) مباحث إسلامية: ٤٧.

(١٠٦) سورة الفاتحة: ٦.

(١٠٧) ينظر: مباحث إسلامية: ٤٨.

الأستاذ طه الراوي بهذه الطريقة تفصيلًا لما أشار إليه الزمخشري، إلا إنَّ الأستاذ طه الراوي أوردَ في أكثر من موضعٍ كلامًا للزمخشري ولم يُشر إلى أنَّه منقولٌ، نحو قوله في كتاب مباحث إسلامية: "بيانٌ ذلك أنَّه نبه أولًا على أنَّه الكلام المُتحدَّى به، ثمَّ أُشير إليه بأنَّه الكتابُ المنعوتُ بغاية الكمال، فكانَ تقريرًا لجهة التحدي وشدًا من أعضاده..."<sup>(١٠٩)</sup>. فهذا الكلام موجود نصًا في كتاب الكشاف للزمخشري في تفسير معنى هذه الآيات.

#### أقسام الناس في سورة البقرة

قسَّم الأستاذ طه الراوي الناس إلى ثلاثة أصنافٍ من خلال ما ذكره القرآن الكريم من صفات كلِّ صنفٍ منهم في سورة البقرة، وهم:

- ١- مؤمنٌ مُتَّقٍ.
- ٢- كافرٌ معاندٌ.
- ٣- مُذْبَدَبٌ، يقولون آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبُهُم<sup>(١١٠)</sup>.

#### المؤمن:

في سورة البقرة بعد أن ذكر سبحانه وتعالى صفات القرآن الكريم، أشار إلى مَنْ يؤمن به، وذكر مجموعة من صفاتهم، وهي:

**الصفة الأولى:** اقرارهم واعترافهم بأنَّ هناك ما يتوصَّلُ إليه بخبر الصادق الأمين، وقد غابَ عن حواسهم، كالحسابِ و الثوابِ والعقابِ والوحي وغيرها. وهم المقصودون في قوله تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)<sup>(١١١)</sup>، أمَّا معنى الغيب فقد ذكر الأستاذ الراوي أنَّ معناه في اللغة هو "ما غاب عن

(١٠٨) الكشاف: ٣٧.

(١٠٩) مباحث إسلامية: ٤٨.

(١١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨.

(١١١) سورة البقرة: ٣.

الحسّ، ويتوصّل إليه بطريق الخبر دون طريق النظر فهو مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل<sup>(١١٣)</sup>، وقد اختلفوا في هذا الغيب، فقد قيل هو القدر أو هو الصانع (جلّ شأنه)، وردّ الأستاذ الراوي على هذين القولين بقوله: "وهذان القولان ضعيفان، لأنّ الله والقدر يتوصّل إلى معرفتهما بصحيح النظر"<sup>(١١٣)</sup>.

وفي هذا المعنى ناقش الأستاذ الراوي رأي أبي مسلم بن بحر الأصفهاني، لأنّه ذهب في معنى يؤمنون بالغيب إلى "أنّهم يؤمنون بالله حال الغيب كما يؤمنون به حال الحضور"<sup>(١١٤)</sup>، وهو هنا يفرّق بين المؤمن والمنافقين، لأنّ المنافقين يقولون آمنا بالله حال حضور المؤمنين، وفي غيابهم يكفرون به، ويرى أنّ في هذه الآية مدح للمؤمنين من جهة أنّ ظاهرهم يشبه باطنهم ويوافقهم، وذكر الأستاذ الراوي أنّ أبا مسلم الأصفهاني أحتج في ما ذهب إليه بثلاثة أمور، هي:

١- إن قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)<sup>(١١٥)</sup>، إنّما هو إيمانٌ بالأشياء الغائبة، فلو كان المراد من قوله: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) هو الإيمان بالأشياء الغائبة لكان المعطوف نفس المعطوف عليه والأصل في العطف التغاير.

٢- لو حمل هنا على الغيب المطلق لّلزم القول بأنّ الإنسان يعلم الغيب لأنّ الإيمان بالشيء متوقف على العلم به، مع أنّ الغيب بيد الله، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.

٣- إنّ لفظ الغيب إنّما يجوز إطلاقه على من

يجوزُ عليه الحضور، فعلى هذا لا يجوز إطلاق لفظ الغيب على ذات الله وصفاته. وأمّا لو حملناه على ما أشرنا إليه فيزول هذا المحذور.

### الصفة الثانية:

هي إقامة الصلاة، إذ قال تعالى (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)<sup>(١١٦)</sup>، ذكر الأستاذ طه الراوي إنّ هذه الآية بمعنى "أنّهم يواظبون على أدائها مع المحافظة على تعديل أركانها وأدائها"<sup>(١١٧)</sup>، فالصلاة من الصفات التي تميز بين المؤمن والكافر، وبين المؤمن والمنافق، إذ إنّ الكافر لا يؤديها، أمّا المنافقون فيقومون للصلاة كسالى رياء أمام الناس. أمّا المقصود بالصلاة في الآية فهي الصلاة الشرعية الواجبة، والنافلة<sup>(١١٨)</sup>.

### الصفة الثالثة:

قال تعالى (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)<sup>(١١٩)</sup>، أشار الأستاذ الراوي في تفسير هذه الآية أنّ من صفات المؤمنين الأنفاق (كونهم يتصدقون ببعض ما رزقهم الله تعالى من فضله)<sup>(١٢٠)</sup>.

أشار الأستاذ الراوي إلى أنّ أصل المعنى المراد من الإنفاق هو (الإتلاف وما معناه)<sup>(١٢١)</sup>، ومعنى الإتلاف يكون فيه نوعان: إمّا مدح أو ذمّ، والمراد هنا المدح فهو بمعنى الإنفاق بحق أو الإتلاف بحق، وهو ممدوح، أمّا الإتلاف المذموم فهو الإتلاف بدون وجه حقّ. ذكر الأستاذ طه الراوي في المقصود بالنفقة ثلاثة آراء: الأول لابن عباس، الذي إذ يرى أنّ النفقة هي "الزكاة المفروضة ويؤيده اقترانها بالصلاة"<sup>(١٢٢)</sup>، إذ يرى اقترانها

(١١٦) سورة البقرة: ٣

(١١٧) مباحث إسلامية: ٤٩

(١١٨) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠

(١١٩) سورة البقرة: ٣

(١٢٠) مباحث إسلامية: ٥٠

(١٢١) المصدر نفسه: ٥٠

(١٢٢) مباحث إسلامية: ٥٠

(١١٢) مباحث إسلامية: ٤٩

(١١٣) المصدر نفسه: ٤٨

(١١٤) المصدر نفسه: ٤٩

(١١٥) سورة البقرة: ٤

بالصلاة في القرآن يعني أنها الزكاة.

الثاني: لابن مسعود<sup>(١٢٣)</sup> ويرى أنها نفقة الرجل على أهل بيته، ويرى أنها أفضل إنفاق.

الثالث: للضحك<sup>(١٢٤)</sup> ذهب فيه إلى كونها " صدقة التطوع مطلقاً"<sup>(١٢٥)</sup>، والسبب في ذلك أنه لو أراد لذكر الزكاة بلفظها إن كان يقصدها، كذلك في الإنفاق المطلق، فلو كان مقصوداً فرضاً أو نافلاً لجاء بالصدقة، ولكن عندما جاء بلفظ الإنفاق كان المقصود بها التطوع. ويرى الأستاذ الراوي أن الرأي الأول لابن عباس هو الأرجح<sup>(١٢٦)</sup>.

#### الصفة الرابعة:

ويُراد بها قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)<sup>(١٢٧)</sup>، أي الإيمان والتصديق بما نزل على الرسول (صلى الله عليه وآله) من الكتاب، وقرنه بالإيمان والاعتراف بالكتب السماوية والتصديق بها.

ويرى الأستاذ الراوي إن التصديق بالرسول وما أنزل إليهم أصل من أصول الدين وذكر إن هذا الإيمان إجمالي، فالإيمان بالرسول وما أنزل إليهم،

(١٢٣) ابن مسعود : أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي ٣٢هـ صحابي وفقيه ومقرئ ومحدث، وأحد رواة الحديث النبوي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وواحد ممن هاجروا الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وممن أدركوا القبليتين، وهو أول من جهر بقراءة القرآن في مكة. وقد تولى قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر.

(١٢٤) الضحك بن مزاحم من بني هلال. تابعي، مفسر، وأحد رواة الحديث النبوي، روى له أصحاب السنن الأربعة. كان معلم كتاب، يعلم الصبيان، ولا يأخذ منهم شيئاً. أخذ التفسير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس.

(١٢٥) مباحث إسلامية : ٥٠ .

(١٢٦) ينظر : إسلامية : ٥٠ .

(١٢٧) سورة البقرة : ٤ .

(١٢٨) ينظر : مباحث إسلامية : ٥٠ .

بمعنى إننا نعتقد أنها من عند الله تعالى<sup>(١٢٨)</sup>.

وقد جعلها الأستاذ الراوي صفتين، ولكنني أرى أنهما صفة واحدة، إذ الإيمان بالذي نزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) مشروط بالإيمان بالأنبياء الذين جاءوا قبله وبما أنزل إليهم، كما في قوله تعالى (أَمَنْ أَلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ)<sup>(١٢٩)</sup>.

#### الصفة الخامسة:

ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ الرَّاويُّ أَنَّ الصِّفَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ هِيَ الْإِيمَانُ بِوُجُودِ "الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ فَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ"<sup>(١٣٠)</sup>، وهي معنى قوله تعالى (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)<sup>(١٣١)</sup>، وقد ذهب الأستاذ طه الراوي إلى أن لفظة (الآخرة) هي تأنيث (الآخر) وقد غلب استعمالها للحياة بعد الموت. أما ما ذهب إليه الأستاذ الراوي في معنى (يوقنون) فإن الإيقان عنده "هو إيقان العلم بالشيء بعد التردد فيه"<sup>(١٣٢)</sup>، بذلك لا يمكن أن يوصف الله تعالى (بأنه موقن)، إذ هو مُنَزَّهُ مِنَ الشُّكِّ وَالتَّرَدُّدِ.

وهذا المعنى من المعاني التي أخذها الأستاذ الراوي من تفسير (الكشاف) للزمخشري من دون الإشارة إليها.

#### الكافر المعاند :

القسم الثاني من أقسام الناس في سورة البقرة هو الكافر، وهو ضد المؤمن، ويتمثل وصف الكافر في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ

(١٢٩) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(١٣٠) مباحث إسلامية : ٥١ .

(١٣١) سورة البقرة : ٤ .

(١٣٢) مباحث إسلامية : ٥١ .

عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(١٣٣)</sup>، والكافر مجاهرٌ بكفره ثابتٌ عليه، وبما أنَّ الإيمان يعني التصديق بالله تعالى ورُسُلِهِ وما أنزلَ عليهم وبالיום الآخرة، فإنَّ الكفر ضده وهو الإنكار والتكذيب لكل هذه الأمور، ويقول الأستاذ طه الراوي إنَّ الكافر "هو المُنكر لما ثَبُتَ مِن دِينِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) بالضرورة"<sup>(١٣٤)</sup>، ويرى إنَّ معنى الكافر يشمل ثلاثة أصناف، هم:

١ / المُلحد المادي: هو لا يعتقد بوجود ما وراء المادة بالقطع. فيكون مُنكراً للألوهية والنبوة والآخرة.

٢ / الوثني المطلق: هو الذي يعتقد أنَّ الوثن لله، فيعبده ولا يعبد سواه.

٣ / المُشرك: وهو ما كان عليه معظم سكان الجزيرة العربية، وهو من يعتقد بوجود الإله الصانع لكنه يشرك معه أرباباً يعتقد أنَّهم شفعاء يقربونه من الله.

وأنَّ القرآن الكريم وصف هؤلاء بأنَّ الكفر رَسَخَ في نفوسهم، ووصلوا لمرحلة يستوي فيها الإنذارُ وعدمه، فهم لا يفكِّرون ولا يستطيعون ذلك؛ بسبب ما غمسوا أنفسهم فيه من المعتقدات المتوارثة، فأصبحت كالختم على قلوبهم وسمعهم، وقد ناسب الختم للقلوب والسمع لأنَّ الإدراك بهما يكون خفي، والختم يكون بعد إخفاء الشيء من جميع جهاته، بعكس الأبصار فهي ظاهرة للعيان تناسبها التغطية<sup>(١٣٥)</sup>.

### المنافق (مذبذب):

وهو من جمع الكفر وضعة النفس، فيظهر

(١٣٣) سورة البقرة ٦-٧ .

(١٣٤) مباحث إسلامية : ٥٦ .

(١٣٥) ينظر : مباحث إسلامية : ٥٩ .

الإيمان أمام المؤمنين، وأمام الكافرين يظهر بمظهر الكافرين، وهم المقصودون بالآيات (٨ - ٢٠)، ومن صفاتهم التي ذكرها القرآن الكريم أنَّهم يخادعون، أي أنَّهم يظهرن عكس ما يبطنون، فهم يبطنون الكفر ويقولون للمؤمنين أنَّهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، وهما ركنا الإيمان. وقد أشار الأستاذ طه الراوي إلى أنَّ خادعهم هذا عائدٌ عليهم، ولكنهم لا يشعرون به، إذ إنَّ في قلوبهم مرض وآلام نفسية. وقد فصل الأستاذ طه الراوي في تفسير هذه الآيات التي تصفُ حال المنافقين والامهم النفسية.

هذا جُل ما تناوله الأستاذ الراوي من مجمل تفسير سورة البقرة، بهذا التقسيم المُستحدث، الذي يبدو للقارئ أنَّ الأستاذ طه الراوي هو من أبدع هذا التقسيم، أمَّا قبل الأستاذ طه الراوي، فقد أشار الواحدي<sup>(١٣٦)</sup> في كتاب أسباب النزول إلى أنَّ "أربع آياتٍ من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتين بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين"<sup>(١٣٧)</sup>. كما عرَّض هذا التقسيم الشيخ محمد عبده<sup>(١٣٨)</sup> في كتابه تفسير القرآن الحكيم المعروف باسم (تفسير المنار)، إذ قال: "بدأ الله عز وجل سورة البقرة بدعوة القرآن، وكونه حقاً لا مجال فيه للشك ولا ارتياب، وجعل الناس تجاه هدايته ثلاثة أقسام"<sup>(١٣٩)</sup>.

(١٣٦) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي . عالم بالتفسير وأسباب النزول والعربية والتاريخ. تُوِّفِّي سنة ٤٦٨ هـ .

(١٣٧) أسباب النزول : ٢١ .

(١٣٨) محمد عبده . مفكر وعالم دين وفقه وقاضي وكاتب مصري، يعد أحد دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي ورموز التجديد في الفقه الإسلامي. تُوِّفِّي سنة ١٩٠٥ هـ .

(١٣٩) تفسير القرآن الحكيم : ١٤ / ١ .

ويبدو أنّ الأستاذَ الراويَّ اعتمد تقسيم الشيخ محمد عبده للناس في سورة البقرة، حتى أنّه أورد آراءً للشيخ في صفات المؤمنين، ولكن اختلف عنه في أنّه جعل المؤمنين صنفاً واحداً، أمّا الشيخ فقد جعلهم صنفان: الأول "يؤمنون بالغيب بمجرد سلامة الفطرة ويقيمون ركني الدين" (١٤٠)، الثاني: "يؤمنون به بتأثير إيمانهم بما أنزل من قبل من كتب الرُّسل إذ يرونه أكمل منها هداية" (١٤١).

وقد أشار الأستاذُ الراوي إلى هذا الفرق ورَدَّ عليه، فقال: "وهو في نظرنا ليس بالقوي لوجوه" (١٤٢):

**الأول:** أنّ في رأي الشيخ محمد عبده تكلفاً، خاصةً في تفسير قوله تعالى (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) (١٤٣)، فالصلاة المقصودة هي الشرعية التي لا عهد للعرب بها.

**الثاني:** أنّ الشيخ محمد عبده وصف المؤمنين قبل البعثة بأنهم (حنفاء)، ويرى الأستاذ الراوي أنّ هؤلاء الحنفاء قد ماتوا ولم يبق منهم أحدٌ ليؤمن بما أنزل على النبي (صلى الله عليه وآله) فلا يصح بذلك أن يكون القرآن هدى لهم.

**الثالث:** أنّ اسم الإشارة الذي اعتمد عليه الشيخ محمد عبده في ما ذهب إليه، كان نفسه في الإشارة إلى النوعين، وذهب الأستاذ طه الراوي إلى أنّه يجب أن يكون اسم الإشارة مختلفاً، كأن يُقال: (أولئك

على هدى من ربهم وهؤلاء هم الملحون) (١٤٤). ولم يُشر الأستاذ الراوي إلى أنّ الشيخ محمد عبده قد سبقه إلى هذا التقسيم وبهذه الدقّة، فمن يطلّع على هذا التقسيم عند الأستاذ الراوي ولم يقرأ تفسير الشيخ يظنّ أنّ الأوّل هو مبتدعه، والحقيقة أنّ الشيخ محمد عبده هو أول من جاء بهذا التقسيم بهذا الشكل الدقيق.

كما أشارت إلى هذه الفكرة فيما بعد الدكتورة خلود العموش في كتابها، إذ قسمت سورة البقرة إلى مقدمة وثلاثة أقسام، وكان تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف ضمن المقدمة وهي الآيات (١-٢٠)، والقسم الأول الآيات (٢١-١٦٧) يوضّح الطريق إلى الإيمان والتوحيد، كما يناقش قضية الكفر من أجل توضيح طريق التقوى ... والقسم الثاني الآيات (١٦٨-٢٠٢) يوضّح ويؤكد قضية التقوى وطريقها على مستوى الفرد والأمة ... والقسم الثالث الآيات (٢٠٢-٢٨٤) يقوم بعرض علاقات الفرد بمحيط الأسرة وأمور الحرب والسياسة والاقتصاد، وخاتمتها الآيتان الأخيرتان (١٤٥) تجمعان كل معاني الإيمان.

وهذا التقسيم أيضاً يشبه تقسيم الشيخ محمد عبده لسورة البقرة، ولا يبعد كون الأستاذ طه الراوي والدكتور خلود العموش اعتمداً في تقسيمهما على تقسيم الشيخ محمد عبده.

(١٤٠) المصدر نفسه : ١ / ١٤ .

(١٤١) المصدر نفسه : ١ / ١٤ .

(١٤٢) مباحث إسلامية : ٥٣ .

(١٤٣) سورة البقرة : ٣ .

(١٤٤) مباحث إسلامية : ٥٤ .

(١٤٥) ينظر : الخطاب القرآني : ١٥٠ .

## المصادر والمراجع القرآن الكريم.

- مكتبة مصر ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تخريج خليل مأمون ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٩ م .
- التفسير والمفسرون : د. محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق: د. خلود العموش ، دار جدار للكتب العلمية ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- ١١- زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، دار ابن حزم ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- علم الأصوات : د. كمال بشر ، دار الغريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- لسان العرب : جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ) ، طبعة دار المعارف ، ٢٠١٦ م .
- مباحث إسلامية : طه الراوي ، تحقيق حارث طه الراوي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٨٢ م .
- الميزان في تفسير الميزان : محمد حسين الطباطبائي ، مطبعة روح الأمين ، قم المقدسة ، ١٤٣٠ هـ .
- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون والأوقاف ، المملكة العربية السعودية ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) ، تخريج عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح ، الدمام ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م .
- الأعلام : خير الدين الزركلي (ت ١٣٧٦هـ) ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ م .
- تأريخ علوم اللغة العربية : طه الراوي ، مطبعة الرشيد ، بغداد ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٤٩ م .
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين بن عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد عبده ، مطبعة المنار ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٤٦هـ .
- ٧- تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق أبي عبد الله عبد الحلیم بن محمود آل سعيد / محمد بن نصر أبي جبل،